

سأل إبراهيم بن إسماعيل من كتاب الوزير الفضل بن الربيع ومن جلسائه، سأل أبا عبيدة معمر بن المثنى عن قول ا □ تعالى: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" كيف وقع هذا التشبيه والمشبه به غير معروف؟ وإنما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله، فقال أبو عبيدة: إنما كلم ا □ العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرء القيس:

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مَضَاجِعِي * * * وَمَسْنُونَةٌ زَرَقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ

و هم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به... وعزم أبو عبيدة منذ ذلك الحين أن يضع كتابا في القرآن، في أشباه هذا، وما يحتاج إليه من علمه، ثم وضع كتابه (المجاز) فكان أول كتاب ألف في فن البلاغة.

يبدو واضحا من هذه القصة التي سقناها باختصار، أن التأليف في جوالبيان، ولد في جو القرآن الكريم، ولو تتبعنا تاريخ البيان العربي لو جدنا أنه - كذلك - نشأ وأيفع واكتهل في جو القرآن، يدلنا على ذلك أن العلماء منذ عهد أبي عبيدة، كانوا يضعون نصب أعينهم - حين يؤلفون في البيان - قضية الإعجاز، وإن كانوا يضعون بجانب ذلك أغراضا أخرى، كعرفة السرى والمتخلف من الكلام، وكالقدرة على إنشاء الجيد من الشعر والنثر، واختيار الجيد منهما، فإن المتعلم إذا